



The social dimensions of
modern urbanism

الأبعاد الاجتماعية للتحضر المعاصر

المحاضرة السابعة باعتماد كتاب
جغرافية الحضرة الاجتماعية لمؤلفيه نوكس وبنج

ترجمة بتصرف
أ.د. مضر خليل عمر

- ما هي المواقف الرئيسية تجاه المدن في المجتمعات الغربية؟
 - كيف تؤثر الحياة الحضرية على شعور الناس بهوياتهم؟
 - كيف يتم تنظيم الشبكات الاجتماعية في المدن؟
 - ما هي المبادئ الأساسية لمدرسة شيكاغو للبيئة البشرية؟
 - لماذا كان عمل مدرسة شيكاغو مؤثراً جداً على الرغم من كثرة الانتقادات؟
 - كيف أثرت أفكار جورج سيميل على دراسة العلاقات الاجتماعية في المدن؟
- كيف يمكن فهم التنظيم المكاني للمدينة بشكل صحيح على خلفية الأبعاد الأساسية للتنظيم الاجتماعي والسلوك الإنساني فيها : "البنية التحتية" الحضرية ؟ لا يعني هذا أن النظام المكاني للمدينة يخضع للعوامل الاجتماعية ؛ ولكن ، ما تأثير الفضاء والمسافة على السلوك الفردي والتنظيم الاجتماعي ؟ إذ تميل درجة رضا الناس عن "نوعية حياتهم" الإجمالية وعناصر الرفاهية الرئيسية إلى الانخفاض بشكل مطرد من البيئات الريف إلى سكنى العاصمة . ومن الأمثلة على ذلك الغموض الواضح في النتائج التي تظهر فالبعض يعلن أنه يفضل العيش في الريف أو البلدة الصغيرة ولكن سلوكه قد أوصله إلى العيش في المدينة ، ويفترض أنه يبحث عن مستوى معيشي اعلى . وهكذا تظهر المدينة ليست جيدة أو سيئة ، ولكنها "شر ضروري".
- انعكس هذا التناقض غير المتوازن تجاه المدينة - جاذبية وظيفية مضحكة يرافقه كراهية فكرية - منذ فترة طويلة في أدب وفن المجتمع الغربي (بما في ذلك لغة الأغاني الشعبية) . فكل التشويق والحداثة في المناطق الحضرية ، هناك العديد من الرثاء الحضري والشوق الريفي . تمكن بعض الكتاب من توضيح كيف تم عد المدينة بمثابة محفز وتحدي و "مرحلة" لسن الدراما الإنسانية ونمط الحياة الشخصية من قبل مدارس فكرية معينة . فتشارلز كان بودلير كتب في منتصف القرن التاسع عشر ، وهو من أوائل من رأى في المدن الحديثة إمكانية تجاوز القيم التقليدية والمعايير الثقافية .

لقد رأى أن المدينة بإمكانها دفع الناس إلى خارجها ، وتزويدهم بتجارب أخرى . تكمن قوة المدينة في إعادة توجيه الناس بهذه الطريقة وفي تنوعها . ففي ظل وجود اختلاف ، يكون لدى الناس على الأقل إمكانية التعبير عن أنفسهم ، حتى لو كان ذلك عادلاً لفترة قصيرة . إن هذه النوعية من الحياة هي التي تجعل المدن تحفز الكثير منا . ومع ذلك ، فإن أهمية تنوع حياة المدينة تذهب إلى أبعد من ذلك بكثير . بما أننا نتعرض للآخرين ، فإن انطباعاتنا عن حياة المدينة

والمجتمع الحضري والمعاني نستخلصها منها جراء تعديل وإعادة تفاوض . بهذه الطريقة ، فإن ثقافتنا (أي أنظمة المعاني المشتركة) تتخذ سيولة ودينامية أساسية لجدلية مكانية اجتماعية .

التحضر والنظرية الاجتماعية

هذه الأقطاب موجودة أيضاً في مجموعة النظريات الاجتماعية المتعلقة بحياة المدينة . لقد نظر العديد من علماء الاجتماع الى غرابية ، و اصطناعية ، وفردية ، وتنوع البيئات الحضرية الأساسية . لقد شجع بارك "استكشاف" والتوثيق التجريبي لهذه العوالم الاجتماعية من قبل زملائه ، ونتيجة لذلك ، وضع سلسلة مؤثرة من "التاريخ الطبيعي" للمجموعات والمناطق المميزة في شيكاغو في ١٩٢٠ : عصابات الأحداث ، شذاذ الأفاق ، و مساحة سكان الغرف ، والباغيا ، وراقصات سيارات الأجرة ، والغيتو اليهودي ، إلخ . مثلت هذه الدراسات جزءاً من نهج علم الاجتماع الحضري الذي أصبح يعرف باسم تحليل البيئة البشرية .

فمفهوم التحضر كطريقة للحياة انبثق من شيكاغو من خلال نهج مرتبط ارتباطاً وثيقاً في علم الاجتماع الحضري . وعلى الرغم من احتوائه على الكثير من الأفكار المتأصلة في علم البيئة البشرية ، فقد احتوت أفكار ويرث مجموعة واسعة من المبادئ الحتمية ذات الصلة بسلوك الفرد والجماعة . درس ويرث ، مثل بارك ، في عهد جورج سيميل وتأثر بشدة بأعمال سيميل . جمع أفكار سيميل مع أعمال علماء البيئة البشرية ، أنتج ويرث مقالته الكلاسيكية ، "التمدن كطريقة للحياة" (ويرث ، ١٩٦٩) ، التي أصبحت واحدة من أكثر المقالات المقتبسة والمطبوعة في كثير من أدب المدينة . أرجع ويرث العواقب الاجتماعية والنفسية لحياة المدينة (أي "التمدن") إلى اثار ثلاثة عوامل منتجة لزيادة التحضر: (١) زيادة حجم السكان ؛ (٢) زيادة الكثافة السكانية ؛ و (٣) زيادة عدم التجانس الاجتماعي ، أو التمايز بين السكان.

على المستوى الشخصي ، فإن تأثير هذه العوامل ، كما يرى ويرث ، على النحو التالي : في مواجهة المحفزات المادية والاجتماعية الوفيرة والمتنوعة ذات الخبرة في بيئة المدينة الكبيرة والكثيفة والمتنوعة للغاية ، يتعين على الفرد أن يتكيف مع السلوك "الطبيعي" من أجل التوائم مع البيئة الجديدة . وهكذا يصبح سكان المدن ، على سبيل المثال ، بمعزل عن أنفسهم ، وغير شخصيين في تعاملهم مع الآخرين : إذ يتم التخزين العاطفي في العلاقات . ومع ذلك ، فإن المحفزات الشديدة لبيئات المدينة ستولد أحياناً ما يُطلق عليه فيما بعد "الحمل الزائد" ، مما يؤدي إلى القلق والتأثيرات العصبية على سلوك الإنسان وبالمحصلة النهائية التنظيم الاجتماعي .

كان لهذا المنظور الحتمي والبيئي تأثير عميق على دراسة جغرافيا الحضر الاجتماعية وكذلك على علم الاجتماع وجميع التخصصات المشابهة . إنه ينبع من كتابات الفلاسفة الاجتماعيين الأوروبيين مثل دوركهايم ، وبيير ، وسيميل وتونيبس ، الذين كانوا يسعون إلى فهم الآثار الاجتماعية والنفسية للحضرة والتحضر المرتبطة بالثورة الصناعية في القرن التاسع عشر . نواة هذا التحليل الاجتماعي الكلاسيكي هو الارتباط بين مقياس المجتمع و "نظامه الأخلاقي" . في الأساس ، تعمل الحجة على النحو الآتي : في مجتمع ما قبل الصناعة ، تحتوي المجموعات الصغيرة المتجانسة إلى حد ما على أشخاص يعرفون بعضهم البعض ، ويقومون بالشيء نفسه من نوع العمل ولديهم النوع نفسه من المصالح : فهم يميلون بالتالي إلى النظر والتفكير والتصرف على حد سواء ، مما يعكس توافقاً في القيم والقواعد السلوكية . في المقابل ، يشكل سكان المدن الكبرى جزءاً مما سماه دوركهايم "الكثافة الديناميكية" للسكان إلى أشكال جديدة من التنظيم الاقتصادي والاجتماعي نتيجة للتخصص والابتكارات الاقتصادية في مجال النقل وتكنولوجيا الاتصالات .

ففي هذا المجتمع الصناعي المتحضر ، هناك اتصال مع المزيد من الأشخاص ، لكن العلاقات "الأولية" الوثيقة مع العائلة والأصدقاء تكون أقل سهولة . في الوقت نفسه ، يؤدي التمايز الاجتماعي إلى اختلاف في أنماط الحياة والقيم والتطلعات ، مما يضعف الإجماع والتماسك الاجتماعي ويهدد بتعطيل النظام الاجتماعي . وهذا بدوره يؤدي إلى محاولات اعتماد

مقاربات "عقلانية" للتنظيم الاجتماعي ، وانتشار الضوابط الرسمية ، وفي حالة عدم نجاحها ، إلى زيادة الفوضى الاجتماعية والسلوك المنحرف .

مدرسة شيكاغو

جاء تأثير هذه الأفكار على الجغرافيا الحضرية بشكل أساسي عن طريق تبنيها وتعديلها في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي من قبل باحثين في قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو (ما يسمى مدرسة شيكاغو البيئية) تحت قيادة روبرت بارك ، الطالب السابق لجورج سيميل . مثل نظريات سابقة ، اعتقد بارك أن التمدن أنتج بيئات جديدة وأنواعا جديدة من الناس وطرقا جديدة للحياة . النتيجة النهائية ، كانت فسيقساء من سلالة العالم الصغير . علاوة على ذلك ، فإن تخفيف الروابط الشخصية من خلال هذا السلوك التكيفي الذي يميل إلى ترك الناس غير مدعومين في أوقات الأزمات وغير مقيدين في متابعة السلوك المتمركز حول الأنا . والنتيجة النهائية ، كما يرى ويرث ، هي زيادة في حدوث ، من ناحية ، عدم الكفاءة الاجتماعية والشعور بالوحدة والمرض العقلي ، ومن ناحية أخرى ، السلوك المنحرف بجميع أنواعه : من غريب الأطوار إلى الإجرام الخطير .

يرسم ويرث صورة موازية للتغير الاجتماعي المرتبط بزيادة حجم وكثافة وتجانس سكان المدن . فالأحياء السكنية المتخصصة والتجمعات الاجتماعية الناتجة عن المنافسة الاقتصادية وتقسيم العمل تؤدي إلى تفتت الحياة الاجتماعية بين المنزل والمدرسة وأماكن العمل والأصدقاء والأقارب ؛ وهكذا ينقسم وقت الناس واهتماماتهم بين الأشخاص والأماكن غير المتصلة (فصل مكان العمل عن مكان السكن عن مكان الترويح و عن مكان التسوق) . هذا يضعف الدعم الاجتماعي والسيطرة الاجتماعية الأولية . تتمثل الاستجابة المجتمعية الشاملة في الاستعاضة عن الدعم والضوابط التي كانت توفرها في السابق المجموعات الاجتماعية الأولية بإجراءات ومؤسسات "عقلانية" وغير شخصية (وكالات الرعاية الاجتماعية ، والقوانين الجنائية التي تدعمها قوات الشرطة ، إلخ). وفقا لويرث ، مثل هذا النظام لا يمكن أن يحل محل النظام المجتمعي القائم على توافق الآراء والقوة الأخلاقية للمجموعات الصغيرة مثل الأسرة والأصدقاء والجيران ، مما يؤدي إلى عدم وجود نظام اجتماعي وزيادة "الفوضى الاجتماعية" .

علاوة على ذلك ، يتم تعزيز هذه الاتجاهات من خلال إضعاف القواعد الاجتماعية (قواعد واتفاقيات السلوك السليم والمسموح به) الناتجة عن المصالح المتباينة وأنماط الحياة لمختلف المجموعات المتخصصة في المدينة . فالمجموعات الأولية ، ونتيجة لذلك ، تنشأ مواقف تكون فيها الأعراف الاجتماعية مشوشة وضعيفة للغاية بحيث تتطور الحالة الاجتماعية المعروفة باسم "الشذوذ" : الأفراد غير الواضحين أو غير سعداء بالمعايير السائدة ، يميلون إلى تحديها أو تجاهلها ، مما يولد مصدراً آخر لتصرف غير مقبول .

كانت إحدى المشكلات المستمرة المرتبطة بنظرية ويرث هي أن نتائج البحث التجريبي كانت متناقضة . فمعظم الأدلة المتوفرة تأتي من أربعة أنواع من البحوث : دراسات المساعدة ، والصراع ، والعلاقات الاجتماعية والحالات النفسية . بشكل عام ، يميل الأوليان إلى دعم نظرية ويرث ، بينما يقوضها الآخرون . عادةً ما تتضمن دراسات المساعدة تجارب ميدانية مصممة لقياس ردود أفعال الناس على "الغرباء" . عموماً كان انجراف النتائج هو أن سكان المدن يميلون إلى أن يكونوا أقل فائدة ومساعدة للغرباء بكثير من سكان البلدة الصغيرة . تشير دراسات الصراع إلى أن كلا من صراع المجموعات - الصراع الاجتماعي والاقتصادي - والصراع بين الأشخاص - فئات معينة من الجريمة - يحتمل حدوثها بشكل غير متناسب في المجتمعات الكبيرة . من ناحية أخرى ، فإن الدراسات التي حاولت مقارنة عدد أو جودة الصداقات أو العلاقات الشخصية لم تظهر بشكل عام أي فرق بين مجتمعات مختلفة في الحجم ، أو أظهرت تكاملاً اجتماعياً أكبر بين سكان المدن . وبالمثل ، تُظهر دراسات الحالات النفسية ، مثل الإجهاد والعزلة ، أن حدوث مثل هذه الظواهر كبير ، إن لم يكن أكبر ، في المجتمعات الأصغر .

العالمين العام والخاص في حياة المدينة

قبول صحة هذه النتائج المتناقضة ، كيف يمكن التوفيق بينها؟ وإحدى الطرق هي إعادة دراسة فكرة البيئات الاجتماعية الحضرية ، والاعتراف بالفرق بين المجالين العام والخاص في الحياة الحضرية . يتكون العام من الإعدادات حيث الناس الغرباء ، الأمر الذي يتطلب أداباً خاصة : محفوظة ، حذرة ، غير تدخلية . في المجال العام ، يجب أن يكون الناس ، أو على الأقل يبدو أنهم غير مبالين بالأشخاص الآخرين . يزعم ريتشارد سينيت أن الثقافات الحديثة تعاني من الانقسام الذاتي عن عمد بعد تجربة من الخبرة الدنيوية ، فنحن قد قمنا - من الناحية النظرية - ببناء مساحاتنا الحضرية من أجل الحفاظ على هذا الانقسام : المساحات المليئة بالناس في المدينة الحديثة هي إما مساحات تقتصر على الاستهلاك وتنسق بعناية ، مثل مركز التسوق ، أو المساحات تقتصر على ترتيب تجربة السياحة بعناية . تعكس الطريقة التي تظهر بها المدن خوفاً كبيراً غير محسوسا من التعرض للآخرين . و"التعرض" يعني ضمناً احتمال التعرض للآخرين ، أكثر من التعرض للتحفيز الايجابي . إن ما يميز بناء المدينة هو إزالة الاختلافات بين الناس ، على افتراض أن هذه الاختلافات من المرجح أن تكون مهددة بشكل متبادل أكثر من تحفيزها . إن ما نصنعه في المجال الحضري هو بالتالي مساحات لطيفة ، تحييد المساحات ، المساحات التي تزيل تهديد التواصل الاجتماعي : جدران الشوارع التي تواجهها ألواح من الزجاج ، الطرق السريعة التي تقطع الأحياء الفقيرة عن بقية المدينة ، التطورات السكنية .

لكن تجنب "التعرض" ، سواء كان ذلك من خلال علاقة فردية أو من خلال تصميم حضري ، هو سلوك ظرفي ، وليس حالة نفسية ، ولا يقول شيئاً عن مواقف الناس وأفعالهم في المجال الخاص . في حين أن سكان المدن لا يفقدون القدرة على إقامة علاقات عميقة وطويلة الأمد ، إلا أنهم يكتسبون القدرة على الوصول إلى العلاقات الأسطورية المقيدة . اعتمد فيشر على هذا التمييز ، مشيراً إلى أن التمدن لا يتميز بعدم الثقة والتشتت والتغريب بين الجيران على الرغم من ارتباطه بالعزلة والعزلة عن "أشخاص آخرين" في المجتمع الأوسع . بعبارة أخرى ، "الحضرية تنتج الخوف وانعدام الثقة من الجماعات" الأجنبية "في المجال العام ، لكنها لا تؤثر على العوالم الاجتماعية الخاصة" . في مصطلحات وبريثان ، هذا يعني أن التمدن يستوعب "النظام الأخلاقي" و "الفوضى الاجتماعية" في وقت واحد .

فالذات: الهوية والتجربة في العالمين الخاص والعام أسئلة حول كيفية تعرّف الأفراد والجماعات الاجتماعية على هوياتهم و هويات "الآخرين" تتطلب منا إعادة النظر في كيفية بناء الموضوعات البشرية : كيف نفكر في أنفسنا داخل عالمنا ، كلاهما ضمن منطق نظرية التحليل النفسي . وبالنسبة لبعض علماء الاجتماع ، فإن هذا قد سمح بالاعتراف بالمشاعر الإنسانية مثل الحب والرغبة والنرجسية والقلق والكراهية والمعاناة لنماذجنا ونظرياتنا : هذه . . . المشاعر هي جوهر وجودنا ، أشياء في حياتنا اليومية ، إنها أسس كل المجتمعات . إنها تأتي قبل المعنى والقيمة الرمزية ، وتؤدي بنا باستمرار إلى إعادة تفسير الأفكار والقيم والاختباء منها والتهرب منها وإعادة إنشائها . أنها تلهم لدينا العملية العامة والخاصة . هذه قضية جغرافية أساسية : نظراً الى موضوعات "المعرفة" ، فإن نيتنا وذاتيتنا تركزان على العلاقات الاجتماعية والتجارب المباشرة المرتبطة جغرافياً (مكانياً) . علاوة على ذلك ، فهي محاطة بمساحات تشغلها "مواضيع مطلعة" أخرى ، مما يعني أن "أنفسنا" ، إلى حد ما ، بناها آخرون . علينا أن نتوافق مع المعاني والأدوار والهويات المفروضة من خلال توقعات الآخرين . ولكي نتعامل مع هذه الذاتية ، يجب أن نبدأ بـ "الموضوع غير المدرك" من خلال استخدام القواعد وهي الأسباب الكامنة وراء حساباتنا المنطقية . بدون مشاعر ، لن يكون هناك أي استخدام للقواعد أو الأفكار أو الهياكل الاجتماعية ؛ ولن يكون هناك شيء .

هذا النهج يعترف بأن الناس يقيمون مشاعرهم ويعيدون هيكلتها من أجل تلبية مطالب وتوقعات الآخرين - "بناء الذات الخاطئة" . يمكن عد ذلك بمثابة الخطوة الأولى نحو إنشاء مواد مطلعة تكون هوياتها الشخصية والاجتماعية مشروطة بأبعاد مختلفة للتجربة الحية مثل الحياة الأسرية والمدرسة والمجتمع والعمل والوعي الطبقي . ويترتب على ذلك أن الهويات الشخصية

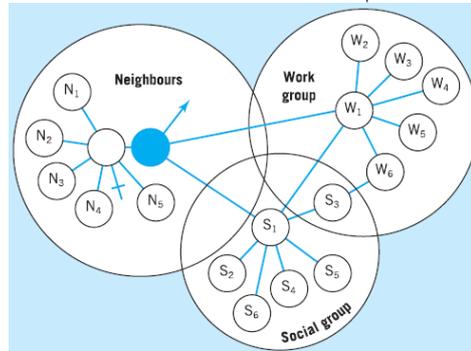
والاجتماعية يجب أن ينظر إليها على أنها مرنة ، وتخضع باستمرار للتفاوض . فهي "قصص نرويها عن أنفسنا" من أجل التعامل مع تجاربنا والعمل بنجاح في المناطق الحضرية التي نجد أنفسنا فيها . إنها أيضًا جزء مما أسماه دي سيرتو (١٩٨٥) "تذمرًا دائمًا للإبداع السري" الناتج عن قيام الأفراد بإعطاء بعض المعاني إلى علاقاتهم بالعالم (من حولهم) . تكمن أهمية هذا "التذمر" في أنه يتجسد ، في الوقت المناسب ، ضمن الممارسات الثقافية التي تشكل "ديناميات ثقافية تصاعدية" ، والتي بدورها تتعامل بشكل جدلي مع المعايير والمعاني الثقافية التي يتم تمريرها "نزوليًا" من قبل صانعي الذوق والمربين وجميع أنواع "الخبراء" في العلوم والأخلاق والفن . في المدن المعاصرة ، من المسلم به على نطاق واسع الديناميات الثقافية الصاعدة كونها ذات أهمية متزايدة . في جزء منه ، يمكن أن يعزى ذلك إلى التآرجح نحو نسيج اجتماعي أكثر انفتاحًا وقدرة الناس على الاختيار من بين مجموعة متنوعة من خيارات أنماط الحياة والسياقات الاجتماعية - الثقافية .

التفاعل الاجتماعي والشبكات الاجتماعية الحضرية

يشارك معظم الناس في العديد من العلاقات الاجتماعية المختلفة ، بعضها مترابط إلى حد ما . ليس لدينا أصدقاء فقط ، ولكننا نعرف أصدقاء الأصدقاء ؛ والأقارب لا وجود لهم في عزلة : قد نتعرف على شخص غريب تمامًا لأنه هو أو هي عضو في نفس النادي أو المنظمة أو كعم أو عمة أو ابن عم . غالبًا ما تكون الطريقة التي يتم بها هيكل هذه الروابط الاجتماعية معقدة للغاية ، وهي عمومًا تمثل أسس التنظيم الاجتماعي . وليس من المستغرب ، وبالتالي ، فإن التحليل من هذه الروابط - المعروفة باسم تحليل الشبكة الاجتماعية - وقد اجتذبت قدرًا كبيرًا من الاهتمام .

تحليل الشبكة الاجتماعية في الأساس ، يحاول تحليل الشبكة الاجتماعية توضيح هيكل التفاعل الاجتماعي من خلال التعامل مع الأشخاص كنقاط وعلاقات كخطوط ربط . يسمح تحليل الشبكات الاجتماعية للباحث بتحديد الواقع المعقد للعوامل الشخصية المحيطة بأفراد معينين ، وله ميزة عدم التقيد ، بداهة ، بأي مستوى محدد من التحليل مثل الأسرة أو الحي السكني . كما هو الحال مع تحليل أنواعا أخرى من الشبكة - في جغرافية النقل والجغرافيا الطبيعية ، على سبيل المثال - هذا النهج لا يسهل فقط "رسم خرائط" "التشكل" للشبكات ، ولكن أيضًا القياس الكمي لبعض الخصائص الرئيسية مثل "الترابط" و "المركزية" و "القرب" و "المدى" .

أشارت الأبحاث التجريبية على الشبكات الاجتماعية إلى أن عدد جهات الاتصال المحتملة للتفاعل في الشبكات الاجتماعية للمدنيين "النموذجيين" (يُعرف بأنه أبيض ، ذكر ، متزوج ، حوالي ٤٠ عامًا ، مع طفل في مدرسة ابتدائية) في مدن أمريكا الشمالية هو حوالي ١٥٠٠ ، مع الشبكات الفعلية التي يبلغ متوسطها حوالي ٤٠٠ اتصالًا . بالنسبة للجزء الأكبر ، تكون هذه الشبكات متماسكة أو معتدلة ، حيث يعرف أقل من نصف شبكة أي شخص بعضهم البعض بشكل مستقل عن هذا الشخص . علاوة على ذلك ، عددا قليلا جدا من هذه العلاقات الاجتماعية توفر مستويات كبيرة من الدعم والرفقة .



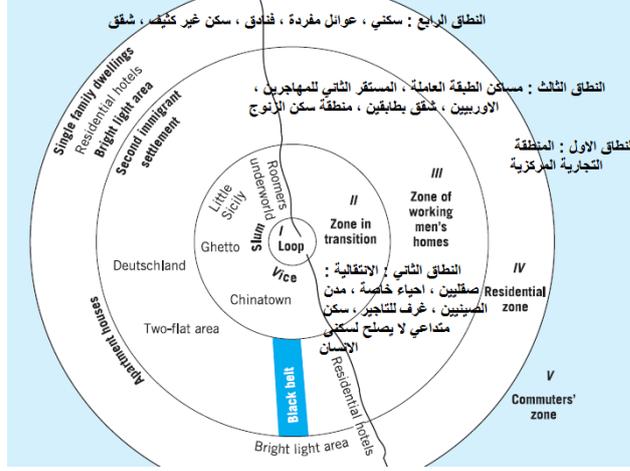
قد ينتمي أي شخص إلى عدة شبكات اجتماعية مختلفة وغير متداخلة في الوقت نفسه ، وقد يكون لكل من هذه الشبكات خصائص مختلفة : قد يكون بعضها مرتبطاً مكانياً في حين أن البعض الآخر ليس كذلك ؛ قد يكون لبعض الهياكل شجري (تفرعات اغصان الشجرة) بينما البعض الآخر يشبه الويب (شبكة عنكبوتية) ، مع وجود روابط متشابكة أو مجموعات أو عقدات أو رسومات فرعية . استندت الصيغ المبكرة لأنواع الشبكات الاجتماعية إلى مفهوم سلسلة متصلة من الشبكات تتراوح من Looseknit (حيث يعرف عدد قليل من أعضاء الشبكة بعضهم البعض بشكل مستقل) إلى closeknit (حيث يعرف معظم أعضاء الشبكة بعضهم البعض بشكل جيد) ؛ إن الأقارب هم رفاق في أوقات الفراغ ، وللشبكة الاجتماعية بنية كثيفة بحيث يعرف الجميع الجميع .

اقترح بعض الباحثين - على النقيض من تأكيدات نظرية وبرتريان - أن شبكات المساعدة الذاتية تظهر في المدن من أجل تقديم المساعدة في العديد من السياقات المختلفة ، وأن وجودها يحول دون إغراق وكالات الرعاية الاجتماعية الرسمية . غالباً ما يكون محور تركيز شبكات المساعدة الذاتية هو "الجار الطبيعي" : أي شخص لديه ميل للانخراط أو جعله متاحاً في حل مشكلات الأشخاص الآخرين ، سواء للتغريض الذاتي أو الإيثار أو لدواعٍ أخرى . عادة الهواة غير مدربين وقد لا يدركون بوعي دورهم في مساعدة الآخرين . في الواقع ، قد لا يقدمون أية مساعدة مباشرة لأنفسهم ، لكنهم يعملون "كوسطاء" ، مما يجعل الناس على اتصال بشخص يمكنه المساعدة . لكن دراسة الشبكات الاجتماعية لا توفر للجغرافي الحضري الاجتماعي مقارنة شمولية كافية : تبقى الأسئلة الأساسية المتعلقة إلى أي مدى يتم تعريف الشبكات الاجتماعية من مختلف الأنواع مكانياً ، وعلى أي نطاق : أسئلة ولكن هذا يمثل صعوبات عملية في تفعيل تعريف الارتباط . هل ينبغي أن يمتد إلى ما وراء القرابة والصداقة إلى التعارف أو "معرفة" شخص آخر ، أم ماذا ؟ وكيف يتم قياس الصداقة ، على سبيل المثال؟ في محاولة لتقليل هذا الالتباس ، تم اقتراح تصنيف للحالات الاجتماعية يتضمن فكرة التعقيد بالإضافة إلى بنية الشبكات الاجتماعية . يمكن توضيح التصنيف عن طريق الحالات القصوى والمحددة : "A" و "B" في المجتمع التقليدي هو المفهوم المعتاد : العلاقات الاجتماعية متعددة في ذلك ، على سبيل المثال ، الجيران هم زملاء عمل لم يتلقوا سوى القليل من الاهتمام . هذا يقودنا إلى النظر في أفكار البيئة الاجتماعية الحضرية . هنا ، يجب أن نعود مرة أخرى إلى الأفكار التأسيسية لمدرسة شيكاغو .

البيئة الحضرية وتشكل التفاعل الاجتماعي

نظراً لأن الأفكار الحتمية لروبرت بارك وزملاؤه في كلية شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري كانت ذات تأثير كبير ، فإنها تستحق دراسة متأنية . الميزة الأكثر وضوحاً للنهج الذي اعتمده علماء البيئة البشرية هي تصور المدينة كنوع من الكائنات الاجتماعية ، مع السلوك الفردي والتنظيم الاجتماعي الذي يحكمه "الصراع من أجل الوجود" . زدنا القياس البيولوجي بارك وزملاؤه بإطار عام جذاب لوضع دراساتهم حول "التاريخ الطبيعي" و "العالم الاجتماعي" لمختلف المجموعات في شيكاغو . كما هو الحال في المجتمعات النباتية والحيوانية ، خلص بارك إلى أن النظام في المجتمعات البشرية ينشأ من خلال مناطق داخل كل منطقة - مثل الحي اليهودي والحي الصيني وصقلية الصغيرة داخل المنطقة التي تمر بمرحلة انتقالية - كانت تعد انعكاساً للعلاقات التكافلية التي أقيمت على أساس اللغة والثقافة والعرق . تم تحديد نموذج المنطقة المركزية من حيث التغيير الديناميكي وكذلك التصرف المكاني لمجموعات مختلفة . تمثل المناطق من الأول إلى الخامس ، على حد تعبير بورغيس ، "المناطق المتتالية للإرشاد الحضري وأنواع المناطق المختلفة في العملية التوسع" . ومع نمو المدينة ، كان التغيير شغال في كل منطقة مرتبطاً بعملية الغزو والخلافة ، وكان بورغيس قادراً على الإشارة إلى العديد من الأمثلة على ذلك في شيكاغو في أوائل القرن العشرين كموجات متتالية من المهاجرين شقوا طريقهم من الأحياء السكنية الأولى في المنطقة الانتقالية (المنطقة الثانية) إلى الأحياء السكنية الأكثر ثراءً في

أماكن أخرى من المدينة . في نموذج التوضيحي ، فإن بعض مجموعات المهاجرين الأوائل - لاحظ الألمان بوضوح - قد "وصلوا" بالفعل إلى منطقة سكن متفوق في المنطقة الثالثة وتصبح المجموعة المهيمنة ، لتحل محل عائلات الجيل الثاني الأمريكية التي انتقلت ل استقرار في المنطقة السكنية الخارجية (المنطقة الرابعة). في هذا الإطار الواسع ، أنتجت مدرسة علماء البيئة البشرية ثلاثة أنواعا من الدراسات (بيري وكاساردا ، ١٩٧٧):



١) دراسات تركز على عملية المنافسة ، الهيمنة والخلافة وواقبها على التوزيع المكاني للسكان واستخدام الأراضي . أفضل تمثيل لهذا العمل هو الكتابات المبكرة لـ Park و Burgess و McKenzie .

٢) وصف تفصيلي للسمات المادية للمناطق "الطبيعية" إلى جانب الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والديمغرافية لسكانها . من الأمثلة المعروفة لهذا النوع من العمل دراسة ويرث حول الغيتو وتصوير زوربا للسكن المتهرئ في شيكاغو . قدم عمل Zorbaugh مثالاً جيداً على التصوير الحميم للعوامل الاجتماعية الفردية المحددة في إطار النظرية البيئية الأوسع . كانت المنطقة القريبة من الجانب الشمالي جزءاً من المنطقة التي تمر بمرحلة انتقالية وتضمنت أربع مناطق طبيعية مميزة : ساحل الذهب ، وهي منطقة غنية الحي المجاور للبحيرة ؛ مساحة المنزل مع هيكل ديموغرافي ثقيل للغاية تشغيل العمليات "الطبيعية" مثل الهيمنة ، الفصل الاجتماعي والمنافسة غير الشخصية والخلافة . إذا كان التشبيه يبدو ساذجاً إلى حد ما ، فيجب أن نتذكر أنه تم تصويره في وقت كانت فيه جاذبية الداروينية الاجتماعية والنظرية الاقتصادية الكلاسيكية قوية . وعلاوة على ذلك ، قدمت الدراسات البيئية للنباتات والحيوانات مصدراً غنياً للمفاهيم والمصطلحات الرسومية في تصور علم اجتماع المدينة . (مفاهيم التغلغل والانتشار ثم السيادة) كان أحد المفاهيم المركزية هو التنافس غير الشخصي بين الأفراد على المواقع الملائمة داخل المدينة . تم هذا الصراع في المقام الأول من خلال آليات السوق ، مما أدى إلى نمط مميز من إيجارات الأراضي وما يترتب على ذلك من الفصل بين أنواعاً مختلفة من الناس وفقاً لقدراتهم على تلبية الإيجارات المرتبطة بمواقع مختلفة . وهكذا كان ينظر إلى التمايز الاقتصادي باعتباره الآلية الأساسية للفصل السكني ، وعُزيت الهيمنة المحلية لمجموعة معينة على قدرتها التنافسية النسبية .

وقد نظر للعلاقات الوظيفية بين مختلف الأفراد والجماعات الاجتماعية بانها تكافلية ، وحيث يمكن تحديد هذه العلاقات كونها مركزية داخل منطقة جغرافية معينة ، حيث حدد علماء البيئة البشرية المجتمعات ، أو الطبيعية للمناطق : "الوحدات الإقليمية التي تكون خصائصها المميزة - المادية والاقتصادية والثقافية - هي نتيجة التشغيل غير المخطط للعمليات البيئية والاجتماعية" مع تغير القدرة التنافسية لمختلف المجموعات وتغير الجاذبية النسبية للمواقع

المختلفة عبر الزمن ، فقد شوهدت هذه المناطق تتحول تدريجياً . مرة أخرى ، تم استخدام مفاهيم بيئية لوصف العملية ، هذه المرة باستخدام أفكار الغزو والهيمنة والخلافة المستمدة من دراسة المجتمعات النباتية .

وقد تم جمع كل هذه المفاهيم من قبل بورغيس في نموذج للتمايز السكني وتغيير الحي السكني في شيكاغو . ملاحظات على الموقع وشكلت مجتمعات محددة الأساس لتحديد الهيكل المكاني الحضري الذي يتكون من سلسلة من المناطق المركزة . نظر بورغيس إلى هذه المناطق على أنها انعكاساً للقوة التنافسية الاقتصادية للمجموعات الواسعة داخل المجتمع ، في حين أن مزيداً من الفصل كان بين السكان . فمناطق ذات إضاءة مشرقة ، Towertown ، مع بيوت الدعارة وقاعات الرقص والسكان "البوهيميين" ؛ ومنطقة فقيرة تحتوي على مجموعات من المهاجرين . أظهر زوربو كيف ترتبط شخصية هذه الأوساط المختلفة بسماتها الجسدية - "الموائل" التي قدموها - بالإضافة إلى سمات وطرق حياة سكانها . علاوة على ذلك ، كان أيضاً قادراً على توضيح ديناميكية المنطقة ، ورسم التحولات الإقليمية للمجموعات المختلفة الناتجة عن عملية الغزو والخلافة .

٣) دراسات عن السياق البيئي لظواهر اجتماعية محددة مثل الجنوح والبلغاء والاضطرابات النفسية . كان الشاغل الرئيسي هو دراسة الإيكولوجيا التي بدت وكأنها تولد مستويات عالية من السلوك المنحرف ، وتشمل الأمثلة النموذجية عمل شو في مناطق الجنوح (١٩٢٩) وفارس ودانهام في الاضطرابات العقلية في المناطق الحضرية (١٩٣٩) . كان لمعظم هذا العمل نكهة "جغرافية" واضحة حيث كان غالباً ما يشتمل على تمرينات لرسم الخرائط . كما وفر الحافز لعدد من الدراسات الأكثر حداثة . وقد وجهت انتقادات للنهج الإيكولوجي إذ تم إهمال البحوث البيئية خلال الأربعينيات والخمسينيات بعد سلسلة من الانتقادات النظرية والتجريبية . تم توجيه النقد الأكثر شيوعاً إلى الوضع والخصائص الاجتماعية للأحياء المميزة مثل Beacon Hill و The Common و the End North Italian ويمكن أن يعزى في جزء كبير منه إلى القيم "غير العقلانية" و "العاطفية" المرتبطة بها بواسطة أقساماً مختلفة من السكان (Firey، 1945) .

باختصار ، يمكن للقيم الاجتماعية ، وفي كثير من الأحيان ، تجاوز المنافسة الاقتصادية غير الشخصية كأساس للتنظيم الاجتماعي المكاني . فعمل Firey مهم لأنه يوجه انتباه الجغرافيين وعلماء الاجتماع إلى أهمية العالم الشخصي في فهم الأنماط الاجتماعية في المدن . وفي الإنصاف لمدرسة شيكاغو البيئية ، ينبغي الاعتراف أنهم لا يعتبرون أفكارهم حول البيئة البشرية شاملة أو قابلة للتطبيق على مستوى العالم . فبارك ، على سبيل المثال ، ميز بوضوح مستويين من التنظيم الاجتماعي : الحيوي والثقافي . وقال إن السابق كان يحكمه شخصية المنافسة في حين أن الأخير قد تشكل من خلال التماثلات البيولوجية ، والتي أصبحت موضع خيبة أمل كبيرة من قبل مفهوم الموازي Lebensraum ، وهي جزء من نظرية الجغرافيا السياسية المستخدمة لتبرير بعض المطالبات الإقليمية للرايخ الثالث لهتلر . وكانت الانتقادات الأخرى أكثر تحديداً ، حيث ركزت على الاعتماد المفرط على المنافسة كأساس لتنظيم اجتماعي ، وفشل مفاهيمها الهيكلية العامة (مثل المنطقة الطبيعية وتقسيم المناطق اجتماعياً) في الصمود تحت الفحص المقارن ، واستبعادها شبه الكامل للعوامل الثقافية والتحفيزية في شرح السلوك السكني .

الانتقاد الأخير ربما كان الأكثر ضرراً على الإطلاق . كان والتر (Firey) هو أول منتقد (وبالتالي أكثر شهرة) لمدرسة شيكاغو ، على أساس أنها أغفلت دور "المشاعر" و "الرمزية" في سلوك الناس ، وكان يشير إلى الأدلة الاجتماعية . فأنماط بوسطن حيث ، على الرغم من وجود "أنماط متحدة المركز غامضة" ، كان من الواضح استمرار توافق القيم الاجتماعية فيها . تشمل هذه الجوانب الثقافية للتنظيم الاجتماعي بوضوح مفاهيم فاير عن المشاعر والرمزية ، وبارك وزملاؤه كانوا يدركون جيداً تأثيرها . يعتقد بارك ، مع ذلك ، أنه كان من الممكن دراسة المستوى الحيوي للتنظيم الاجتماعي بشكل منفصل ، ومعاملة القيم الاجتماعية والاتصالات كنوع من البنية الفوقية للمستوى الأساسي للمجتمع . وبالتالي ليس كثيراً

إنكار العوامل غير الحيوية مثل عدم كفاية معاملتهم التي أدت إلى عدم شعبية البيئة البشرية التقليدية.

التفاعل الاجتماعي في البيئات الحضرية

لقد تطور نهج مختلف تماما في دراسة التنظيم الاجتماعي في البيئات الحضرية عن السعي وراء اقتراح جورج سيميل : وهو أن أساسيات التنظيم الاجتماعي موجودة في أشكال التفاعل بين الأفراد . بالنسبة للجغرافيين ، فإن طبيعة وشدة التفاعل هي التي تثير الاهتمام الأكبر . من الشائع تصنيف طبيعة التفاعل الاجتماعي وفقاً لما إذا كان يحدث في سياق الإعدادات الأولية أو الثانوية . فالعلاقات الأساسية تشمل تلك التي بين الأقارب - على أساس علاقات الدم والواجب - وتلك بين الأصدقاء - على أساس العلاقات بين الجاذبية والمصالح المشتركة . علاوة على هذا التمييز ، قد تكون طبيعة العلاقات الأولية أكثر تأهيلاً . فعلى سبيل المثال ، يمكن التمييز بين العلاقات الأسرية وفقاً فيما إذا كان الإعداد عبارة عن وحدة "نووية" - زوجين ونسلهما - أو وحدة "ممتدة" يشمل أعضاء أكثر من جيلين . ويمكن التمييز بين التفاعل بين الأصدقاء وفقاً لما إذا كانت الصداقة قائمة على العمر والثقافة والسكان وما إلى ذلك . العلاقات الثانوية أكثر غرضاً ، حيث تشمل الأفراد الذين يتجمعون معاً لتحقيق أهداف معينة . تنقسم هذه العلاقات بشكل ملائم إلى تلك التي يوجد فيها بعض الارتياح الجوهري في التفاعل المعني - المعروف باسم "التعبيرية" التفاعل - وتلك التي يكون التفاعل فيها مجرد وسيلة لتحقيق بعض الأهداف المشتركة - التفاعل "الفعال" . يتم تعيين كلا النوعين عادة في إطار مجموعة واسعة . فالتفاعل التعبيري ، على سبيل المثال ، يتم تيسيره عادة بواسطة الجمعيات التطوعية بمختلف أنواعها : الرياضة والهوايات والأندية الاجتماعية وجمعيات "فعل الخير" . التفاعل الفعال من ناحية أخرى ، عادة ما يتم ذلك في إطار جمعيات الأعمال والأحزاب السياسية ونقابات العمال ومجموعات الضغط . المسافة الاجتماعية والمسافة المادية تضاعف صعوبات التصنيفات المفاهيمية والتجريبية لأنواع مختلفة من التفاعل من خلال حقيقة أن ميل وكثافة التفاعل من جميع الأنواع مشروطان بشدة بآثار المسافة : المسافة الاجتماعية والمسافة المادية . ومع ذلك ، هناك بعض التداخل في الممارسة بين هذين المفهومين للمسافة ؛ ويتم تقديم مستوى آخر من التعقيد من خلال حقيقة أن أنماط التفاعل لا تتأثر فقط بالهيكل المادي والاجتماعي للمدن ولكن أيضاً تؤثر أيضاً على بنية المدينة بالمقابل . كشف العمليات المشاركة في هذه السلسلة من الأحداث على ما يبدو غير القابلة للتجزئة هو الشاغل الرئيسي لجغرافية الحضر الاجتماعية . قبل الشروع في دراسة الحالات الأكثر تعقيداً ، ومع ذلك ، فإن بعض التوضيح الأولي لدور المسافة الاجتماعية والجسدية أمر سليم . إن لفكرة المسافة الاجتماعية تاريخ طويل ، ويتضح بشكل حاد من خلال محاولة بوغاردوس (١٩٦٢) لقياس المسافة الاجتماعية المتصورة بين الأميركيين البيض المولودين في الولايات المتحدة وغيرهم من الجماعات العرقية والإثنية واللغوية . اقترح أن المسافة الاجتماعية يمكن أن تنعكس بمقياس مرتب للعلاقات الاجتماعية التي سيكون الناس على استعداد لرفضها : كلما زاد المقياس ، زادت المسافة المتصورة بين الناس :

١ أن يعترف بإغلاق القرابة بالزواج ؛

٢ أن يكون كصديق ؛

٣ أن يكون جاراً في نفس الشارع ؛

٤ أن يعترف كعضو في مهنته داخل بلده ؛

٥ للقبول كمواطن في بلد واحد ؛

٦ للقبول فقط كزائر لبلد واحد ؛

٧ لاستبعاد كلياً من بلد واحد .

أنشطة الأطفال ، ومن ثم تؤخر تنمية صداقات قائمة على المحليات من السنوات الأولى من حياة الشخص (Ward ، 1978) . وبالمثل ، ادعت سوزان كيلر أن هناك انخفاضاً واسعاً في الجوار

المنظم والعمومي في أمريكا بسبب الآثار مجتمعة للتغيرات في التنظيم الاقتصادي والقيم الاجتماعية . إنها تعزو الانخفاض الى أربعة عوامل :-

١ وجود مصادر متعددة للمعلومات والرأي عبر وسائل الإعلام ، والسفر ، والمنظمات التطوعية والتوظيف بعيدا عن المنطقة المحلية ؛

٢ نقل أفضل وراء الحدود المحلية ؛

٣ زيادة التمايز في مصالح الناس ورغباتهم ، وتمايز أكبر في إيقاعات العمل ، مما يؤدي إلى ميل أقل وقدرة ، على التوالي ، على التفاعل مع الجيران ؛

٤ خدمات اجتماعية أفضل وأمن اقتصادي أكبر .

ضد هذه الحجج ، يلاحظ أن الحي السكني مستمر في توفير الكثير من المواد الخام للحياة الاجتماعية ، وخاصة بالنسبة للمجموعات غير المتحركة نسبياً مثل الفقراء والمسنين والأمهات اللاتي لديهن أطفالاً صغار . حتى أكثر المحمول يجب أن يكون عرضة للصدفة في المواجهات المحلية والتفاعل الذي قد يتبع ذلك ؛ ومعظم الأسر ستقيم بعض الاتصالات مع الجيران من وجهة نظر وظيفية بحثة للأمن المتبادل . إن الحجة الأكثر دعماً لدور الميول هي الطريقة التي ظهرت بها الأنماط السكنية - سواء كانت محددة من حيث الطبقة أو العرق أو نمط الحياة أو القرابة أو الوضع العائلي أو العمر - ميلاً قوياً نحو التمايز المكاني . في دراسة رائدة ، أظهر دنكان ودانكان أن الفصل السكني المهني occupational حيث قامت مجموعات في شيكاغو بموازاة المسافة الاجتماعية عن كثب وأن أكثر الفئات فصلاً هي تلك التي تمتلك المرتبة الأكثر وضوحاً ، أي تلك الموجودة في الجزء العلوي والسفلي من النطاق الاجتماعي-الاقتصادي (Duncan and Duncan، 1955). وقد افادت الدراسات اللاحقة الاجتماعية والاقتصادية ان مجموعات في أماكن أخرى ومن جماعات عرقية وإثنية في طائفة واسعة من المدن عن وجود درجة كبيرة من العزل السكني . إن استمرار هذه الأنماط يتطلب منا أن ننظر عن كثب إلى الأسس الاجتماعية والثقافية للفصل السكني .

من المقبول عموماً الآن أنه كلما كانت المسافة الاجتماعية بين الأفراد أقل ، كلما زاد احتمال التفاعل من نوع ما بينهم . وبالمثل ، فكلما زاد القرب المادي بين الناس - "ميولهم السكنية" - زاد احتمال التفاعل عن طيب قلب . لكن التأثير الدقيق للمسافة الاجتماعية والمادية يعتمد إلى حد ما على طبيعة التفاعل المعني . على سبيل المثال ، سيكون التفاعل الفعال المتعلق بنقابات العمال أو الأحزاب السياسية أقل اعتماداً على المسافة المادية من التفاعل الفعال الذي يركز على مجموعة عمل محلية معنية بإغلاق مدرسة أو إنشاء محطة كهرباء أو المنظمة من حزب كتلة ما .

في معظم الحالات ، بالطبع ، تتشابه تأثيرات المسافة الاجتماعية والجسدية بشكل وثيق ويصعب عزلها . تميل عضوية الجمعيات التطوعية ، على سبيل المثال ، إلى التعبير عن الطبقة ونمط الحياة ، حيث تعتمد المشاركة بدرجة كبيرة على المسافة الاجتماعية . الطبقة المتوسطة ، على وجه الخصوص ، لديها ميل لاستخدام الجمعيات التطوعية كوسيلة لإقامة والحفاظ على العلاقات الاجتماعية . ولكن ، بسبب المراسلات الوثيقة بين الفصل الاجتماعي والسكني ، ترتبط عضوية هذه الجمعيات أيضاً بقوة بالعوامل المحلية . الجغرافيون ، بالطبع ، لديهم اهتماماً خاصاً بدور المسافة والموقع . ومع ذلك ، لا يوجد إجماع حقيقي على دور الميول في تحفيز أو تأخير التفاعل الاجتماعي . تتقلص قيود المسافة بسرعة في "العالم المتقلص" التكنولوجي الحديثة والاتصالات الجماهيرية . أدت التحسينات في الحراك الشخصي ، بالإضافة إلى الفصل المكاني بين المنزل ومكان العمل والفرص الترفيهية ، إلى إطلاق سراح الأشخاص من روابط الحي السكني . لكن لا يستفيد الجميع ، بالطبع ، من التنقل بنفس القدر: فبعض الناس هم "مواطنون" ، لهم عوالم حضرية مقيدة ؛ البعض الآخر "عالميون" ، حيث تكون المسافة مرنة بالنسبة لهم والذين يعيشون في عالم اجتماعي دون حدود جغرافية محدودة .